صُوْرَةٌ..

اكتشافُها لحماقتِهِ كان أكبرَ كثيراً من استعدادِها لتحمُّلِ الصدمةِ ، غمرَهَا الاكتشافُ بسيلٍ من الشُّكُوكِ والهواجسِ الرَّعْنَاءِ..

أيامٌ كثيرةٌ مضت راحت تلملم فيها حزنَهَا وتُسْكِتُ بكاءَهَا لتبدوَ أمامَهُ بحالتِها العاديةِ حتَّى استعادتْ بعضاً من توازنِهَا

كانت هوَّةُ الكشفِ تزداد اتساعا وهى ترمِّمُها لكي لا تقفُ عند نقطة الفراق الفاصلة..

لكنها تحدَّتْ ضعفَها ،كرامتَها الجريحةَ و راحتْ تهمسُ لنفسِهَا : لن أتركَ الأمورَ تغلبُني سأركضُ صَوْبَ الحقيقةِ حتى أصلَ لتلك المرأةِ الأخرى تلك التي اقترنَتْ بزوجي بعقد زواجٍ صحيحٍ وموثَّقٍ ، نجحَ كثيراً في إخفائِهِ بين طيَّات أسراره حتى اكتشفْتُهُ مصادفةً.. !!

راحتْ تقلِّبُ صفحاتِ أيامِهما سويا تنظر إلى صفحات الكفاح، ومتونِ الحلم ،هوامش سعادتهما، وحواشي التعب وتكرر سؤالها لنفسها : لِمَ وكيف ومتى حدث ذلك ..؟؟

فلم يعترِ علاقتَهُمَا تغيرٌ ولو طفيفٌ يومئُ لها بالشَّكِّ ،ولم يخطئْ ولو لمرةٍ واحدةٍ فترتعشُ لديها قرونُ الاستشعارِ ، ويهمس لها حدسُها عن احتمال وجود امرأةٍ أخرى..!

وأين عرف هذه المرأةَ الغريبةَ ذات الجنسية الأجنبية وهو الذي لم يسافر قطُّ بعيدا عن بلدتهما ولا تغيَّبَ عن فراشِهما ولو ليلةً واحدةً ؟؟

إذن فكيف ومتى عرف هذه المرأة وكيف تطوَّرتْ علاقتُهما حتى وصلت للزواج.. ؟؟

راحتْ تنظرُ للورقةِ التي عثرَتْ عليها مصادفةً، وهيَ تقلِّبُ في أوراقٍ قديمةٍ مهترئةٍ كانت تنوي التخلُّصَ منها وحرقَهَا ثم تَمْتَمَتْ مؤكدةً لنفسِهَا : زواجاً شرعياً رسمياً وموثقاً بالشهود ..!!

راحتْ تحوِّم من بعيدٍ لأيامٍ طويلةٍ حول بغيتها تسألُ كثيراً الأصدقاء المقرَّبين والأقرباءَ المخلِصين ، والعابرين سِرَاعَاً في حياتهما ، راحتْ تجتهد في التسلُّلِ لباقي الأوراقِ المُهْمَلَةِ ، تعتصرُ تاريخاً من الأشياء، تستجدي الفطنةَ لترشدَهَا لكن دونَما جدوى..!!

لكنني لن أستسلم ..!
هكذا حادثتْ نفسَها وأردفَتْ : لابد وأن أصل إلى»كريستين» هذه لأعرفَها وربما لأسألَها كيف وصلت إلى مخدعي دون أن أدري ..؟
ومتى عرفتْ زوجي وتزوجتْهُ وهو الرجلُ الوفيُّ المخلِصُ شديد التدين و الذي لا هَمَّ له سوى إسعاد أسرتِهِ ، وأولادِه.. ؟؟؟
صوتٌ بداخلها يناديها أنْ تكتمَ ما عرفتْهُ وتكمِلَ حياتَها لا مباليةً فالأمرُ حدث منذ سنواتٍ عدَّةٍ ولم يؤثرْ عليها ولم تكتشفْهُ وقتَ حدوثِهِ فربَّمَا كانت نزوةً مرَّ بها زوجُها وانتهَتْ ..!
أو ربما تجربة دخلها عُنوةً ثم خرجَ منها نادماً ..!
لقد كانت قصة غائبة مهملة ما كان لها أن تعرفَها سوى أنَّها عَبَثَتْ بتلك الأوراق البالية بُغْيَةَ حرقِها كلِّها بينما صوتٌ آخرٌ منبثٌّ وضاحكٌ كإبليس يشدُّها ناحيتَهُ مذعوراً وناصحاً : ليس أقل من أن تعرفي حقيقتَها..!
أجهدها البحثُ دون جدوى ولم تصل لأي شيءٍ يفيدُها حتى هداها عقلُها ذاتَ يومٍ أنْ تكتبَ بحثاً على صفحةِ المعلومات العنكبوتية
كتبت اسم «كريستين « ثلاثياً كما هو مدوَّن في وثيقة الزواج فلم تجدْ شيئا ، كتبته بلغةٍ عربيةٍ رصينةٍ في أحد مواقع التواصل الاجتماعيّ المختلفة فذبحها الغموضُ العربيُّ والمواءمةُ ..
كتبته بلغته الأصلية فبدا الأمرُ جليًّا لا لَبْسَ فيه.. !!
كانت صُوَرُ «كريستين» منتشرةً مع «رئيسة القسم» الذي يعمل فيه زوجُها كانتا تأكلان معا ، تشربان معا ، تمرحان سويا ، تتحدثان سويا تتعانقان وأيضا عندما يحل بهما التعبُ ترتميان بجسديهما تقبلان بعضهما البعض.. !!
وتذكَّرتْ «رئيسةَ القسم» هذه المرأة التي كانت تشرف على رسالة الدكتوراه لزوجِها والتي كانت تبدو لها غريبةً بعض الشيء ليس لسلوكٍ غريبٍ صادرٍ عنها بل لإحساسٍ مراوغٍ يجتاحُ روحَها لا تدري كنهَهُ كلَّما رأتْهَا ..
كانت دائما ما تهاتف زوجها أو يهاتفها هو ليلتقيا في أوقاتٍ مختلفة حاملاً معه الكثير من البحوثِ الذي أمضى ليالي كثيرة مؤرِّقًا حتى يتمِّمَها..!!
و توقفتْ هناك بعيداً عند تلك اللحظة التي أسندَ فيها زوجُها رأسَهُ على صدرِها وراحَ يُفضي لها حزيناً ومتوجعاً ومعترفاً : هناك اثنان غيري - نحنُ ثلاثةٌ متنافسون - على تلك الوظيفةِ الشاغرة ومجلس الجامعة سينعقدُ وعليه أنْ يختارَ بين ثلاثتنا لكنني أعتمد كثيراً على رأي رئيسة القسم وأوقن تماماً أنها في

صفي
وراحتْ تتسمَّعُ من بعيدٍ لعوائه : مستقبلي المهني .. معتمد كثيرا عليها وسيختلفُ كثيرا باختيارها ..
فأنا إما أن أصبحَ أستاذاً جامعيا أو ستركُلُني بقرارِها بعيداً أستجدي عملاً - لا يسدُّ لنا - رمقاً ..!
رَعَدَ صوتٌ كالتنينِ داخلها أيقظَهَا من توارُدِ خواطرِهَا وراحَ ينشبُ أظافره في تلافيف عقلِها صارخاً فيها - استمرِّي ... لا تقفي هاهنا أكملي البحث..!
راحتْ تستعرضُ سيرةَ حياة رئيسة القسم وصورِها على صفحتها الشخصية وفي المؤتمرات واللقاءات العامة والندوات واللقاءات الحوارية فسطع أمامها بَرْقٌ أغشى عينيها حين
اكتشفتْ أنَّ علاقةَ رئيسةِ القسم بـ (كرستين) طويلة الأمد وعميقة الجذور..!
ومن باب الحِيْلةِ صَنَعَتْ لنفسِها صفحةً باسمٍ مستعارٍ وبعثتْ لها طلبَ صداقةٍ على (الفيس بوك) بعد أن انتحلَتْ شخصيةَ أستاذٍ زائرٍ في إحدى الجامعات العالمية في نفس تخصُّصِها ووضعتْ صورتَه على صفحتِهَا
قبلتِ السَّيدةُ صداقةَ الرجل فظلَّ الرجلُ الغريبُ المُتَدَثِّرُ بالألاعيب يغريها ويكتب إليها كلَّ ما يسيلُ له لعابُ النساءِ لكنها لم تُجِبْهُ..! فطلبها لممارسةِ الحُبِّ صَرَاحَةً..
رفضتْ بإصرار معترفةً له ودون مواربَةٍ بأنها تعيش أحلى أيامِها مع امرأةٍ تحبُّها كلَّ الحبِّ وأنَّها لَيْسَتْ على استعدادٍ لكي تخون قرينَتَها أو تتخلَّى عنها وأنَّنا كبلادٍ تَرْفُلُ في التَّخَلُّفِ العقليّ والقلبيّ لم تستطعْ عقولُنا أن تستوعبَ هذا الأمرَ على حقيقتِهِ فحاربناهُمْ ظُلْمَاً وأهدرنا حقوقَهُم كاملةً
صدمتْهَا الحقيقةُ التي وَقَفَتْ أمامَهَا وَجْهَاً لوجهٍ ، بينما تُلَمْلِمُ أجزاءَها كقطعٍ بازل متناثرةً !!
وَفَهِمَتْ ...
استوعَبَتْ تماماً أنَّ هذه المرأةَ ما كانت لتحيا دون «كريستين»وكان لابد «لكرستين أنْ تدخلَ البلدَ وتستقرَّ حياتُها فيها فكانت صفقةُ زواجِهِ بها من أجلِ أنْ يُدْخِلَهَا البلادَ ،وتبقى وتأخذَ الجنسيةَ ، جنسيةَ إحدى البلادِ المُتَخَلِّفَةِ..!
راحتْ تتأمَّلُ الصُّوَرَ وتقرأُ تواريخَ التقاطها فوجدتها وكأنما احتفالاً بين المرأتين بعقدِ قرانِهِمَا ..
صُوَرٌ كثيرةٌ جَمَعَتْ المرأتينِ عندَ الأهراماتِ، وعلى حافَّةِ النِّيلِ وداخل معبد (أبي سنبل) وعند قلعة (المقطَّم) !!

وسطعَ وجهٌ آخر ، وجهُ الحقيقة المختبئُ وراءَ كلّ وَهْمٍ يَحْسَبُهُ الغافلُ حقيقةً، وهمُ المبادئِ التي حين وُضِعَتْ على المَحَكِّ اهتزَّتْ وثَمِلَتْ ورقصتْ على الأمنياتِ المخاتلةِ..

لأيَّامٍ ظلَّتْ تفكّروتعيدُ حسابَ حياتِهَا مع زوجِها ونفسِها ومستقبلِها

ومن رَحِمِ المستحيلِ قَرَّرَتْ مواجهةَ زَوْجِهَا رافضةً أنْ تتركَ المَاضِي متدثِّراً بصمتِهِ وببصماته الشائكةِ وجلستْ منتظرةً عودتَهُ من عمله

حين عاد طلب منها أن تُجَهِّزَ مُسْرِعَةً الغذاءَ ، وتُعِدَّ المائدةَ بسرعة ،وتحضِّرَ (الملاعقَ والشَّوَكَ) فلابُدَّ أنْ يأكلَ ثم يعودَ مسرعاً مرةً أخرى إلى الجامعةِ لإلقاءِ محاضَرَتِهِ

رمقتْهُ لا مباليةً ومصرَّةً على نبشِ القبورِ وقائلةً له بتحفزٍواضحٍ وغضبٍ رافضٍ على وَشْكِ الانفجارِكبركانٍ ثائرٍ: نحنُ قد تربينا في بلادٍ متخلِّفَةٍ ولابُدَّ لنا أنْ نتغيَّرَ فما رَأْيُكَ لو تقومُ بتحضيرِالغذاءِ بنفسكَ ولنفسكَ ، وما رَأْيُكَ لو قُمْنَا بالإبلاغِ عن كُلِّ السَّمَاسِرَةِ ..؟؟

سماسرةِ الطعامِ ، وسمسارةِ حقوقِ الإنسانِ ، وسماسرةِ الأراضي التي بِيْعَتْ بوضعِ اليَدِ..!!

ما رأيكَ لَوْ تَمَّ القبضُ عَلَيْهِمْ جميعاً وإيداعُهم السجونَ ..؟؟

ما رأيكَ لو رجعْنَا إلى الطينِ لنأكلَ بعضاً مما تُنْبِتُ الأرضُ،عَلَّنَا نَرى بوضوحٍ حقيقَتَنَا ..!

وما رأيُكَ لو علَّمْنَا أولادَنَا مجابهةَ المُتَيَقِّنِينَ من رضوخِنَا بـ «لا « والواثقينَ من رفضِنَا بـ « نَعَم» بطريقةٍ صريحةٍ وواضحةٍ لا تقبلُ مزايداتٍ أو تأويلٍ ..!